

لقد شهدت الساحة العربية صراعات سياسية، اقتصادية، وفكرية، مما جعل هذا الأخير «الفكر العربي» يدخل في متاهات وتعقيدات على درجة عالية من العمق بمختلف القضايا والأسئلة التي تطرق إليها الفكر من حادثة وتراث ونهضة.... وغيرها، فأصبحت تتوافد إلينا نماذج متعددة من التفكير كل على حدة والسبيل والهدف كان النهوض بالفكر العربي من ضياعه نحو أفق التجديد والابداع.

ومن بين المفكرين الذين برزوا في هذه الحقبة الزمنية، ومن خلال ما عرضناه نحدد أن المحدد، ورائد الفكر التجديدي د. طه عبد الرحمن بأنه ومشروعه الذي تألق في فضاء الفكر المعاصر على امتداد كل هذه السنين وما زاد في توهجه رسوخه على المنهج الإسلامي، وإبداعه المعرفي، فنزعتة العربية الإسلامية هي ما حركه رفضاً منه لكل مقلد ومتتبع ورفضاً لكل إذلال وإهانة تمس أي مسلم في فكره ومعتقدده.

وقد كان هدفه الأسمى هو النهوض بفكر الأمة الإسلامية، فتولى في مشروعه هدم الحادثة المعاصرة هذا الوافد الجديد إلينا، وبناء روح حادثة تأسس على ركائز إسلامية، ويهدف مشروعه أساساً لتحرير المثقف العربي من ركود أفكاره وتبعيتها لما ليس لها أصلاً.

لقد أثار مشروع الطهائي جدلاً بين من عاصره من مفكري عصره وإلى غاية اللحظة الراهنة، فمنهم من أيد ما غرد به من أفكار بناءة ومنهم من لم يرق له ذلك، وراح يطلق العنان لنقده، ووصفه بعبر تدل على تعصب أصحابها.

ومن بين ما قد عرضناه فقد حاول د. طه عبد الرحمن أن يؤسس للحظة الاختلاف، ويبرز حق العرب وواجبهم للتواصل الفلسفي دون ذلك السقف القومي، الذي طمس كل ما هو عربي إسلامي، فحرية العقل الفلسفي تقتضي دعم طاقاته الإبداعية بشتى الوسائل المتخصصة والمؤسسات اللازمة، حتى إذا تمكن من الاضطلاع الناجح بمهام التواصل والإبداع، سيكون نصير القومية ضد مشاريع الهيمنة عليه. فعلى الفلسفة أن تنشأ وتتطور في المجال الدولي العربي بقواها الذاتية وبحرية العقل

الفلسفي، لزيادة إمكانياتها البناء التي يستفاد منها المثقف العربي، وهذا ما كشفته دراسات وأعمال الطهائي من عمق واجتهاد واحترافية نقدية عالية عز نظيرها لدى الكثير من مفكري زمانه، كما تميز عن غيره بجهازه المفاهيمي فارتأى تبديل فعل التأصيل بالتأويل درءا للاجترار والتكرار للمفاهيم بل لإثرائها وإغنائها، فتطرق إلى آفة التقليد التي تسببت في غلق كل منافذ الإبداع إلا أن مشروعه الذي برز في الأفق وكأنه بصيص أمل للخروج من نفق التبعية الذي ضاعت فيه الهوية العربية الإسلامية، فسؤال المشروعية وحق الاختلاف هي الدعوى التي أسست أعمدة فكر الطهائي، يصبوا من خلاله إلى تحرير القول الفلسفي من التبعية، حيث يصبح المتفلسف العربي الإسلامي قادر على إنشاء فلسفته وابتكار مفاهيمه، وإيجاد جواب إسلامي للأمة الإسلامية، لأن ما أشاعه الغرب بين جميع البشر يتجلى في كونية الفلسفة وما عكسته هذه الدعوى من مقالات حيث بدأت في طمس كل ما يتعارض معها، كما كشف كل التناقضات التي تتمركز حول ذات هذا الفكر.

كما يمكننا استخلاص ركائز مشروع المجدد لرائد الفكر د. طه عبد الرحمن في النقاط التالية:

- وضعه لفلسفة تضاهي الفلسفة الغربية، ذات أصول إسلامية إبداعية يكون انطلاقها من القيم التي تدل على الخصوصية الإسلامية العربية، وتتغاير في منطلقاتها وتصوراتها ومفاهيمها، فلسفة مستقلة الرؤية والمجال التداولي، لأن لكل فلسفة سياق تاريخي ولغوي وفكري، وقومي تساعد على فتح آفاق عربية جديدة، للخروج من الأزمة التي أصابت الفكر الإسلامي العربي والتي شبهها د. طه عبد الرحمن بالسقطة الحضارية الكبرى، لذلك نادى في كل مؤلف له بإبداع عتاد إصطلاحي ومفاهيمي يمكن المتفلسف العربي من إنتاج خطاب فكري متميز ومستقل فحسب قول الطهائي أن قوة الإصطلاح ليس أقل أهمية من قوة السلاح.

تأسيس رؤية نقدية إبداعية تميز المتفلسف العربي عن غيره، وهذا من خلال رؤيته التي يجب أن تكون مراجعة للمفاهيم ونقدها، ثم إنشاء ما ينسجم مع استشكالاته واستدلالاته في مجال إسلامي عربي.

- دعوته للمطالبة بحقه في الاختلاف حتى يتفلسف بمقتضى هويته، إذ قدم كيفية عملية وتطبيقية لإخراج المتفلسف العربي من حقبة التقليد التي حاصرت الفكر العربي الإسلامي خاصة، وبهذا يتمكن من الدفاع عن وجوده وتحرره من تلك الأساطير الغربي التي تناقض كيانه وهويته، ويساهم في إبراز ما يمتلكه، فقيمة الاختلاف لدى الطهائي بين الأقوام وفلسفاتهم، تصون وتقوي الجماعة، خاصة إذا أصبح الاختلاف ميثاقا فلسفيا بينهم، فيكون لكل أمة أو قوم على حد قوله حق في التفلسف والإبداع، والابتكار، والإختراع لتحقيق وإثبات هذا الحق.

- هدم واقع الحداثة الغربية التي تسببت في فراغ أخلاقي رهيب والمطالبة بروح الحداثة لبناء حداثة إسلامية أخلاقية بديلة لحداثة الغير، فالحداثة في رأيه تكمن في التجديد والتغيير، حيث يرفض التبعية للآخرين وتقليدهم إما من جانب القول أو الفعل، لذلك يؤكد الطهائي أنه لا يتعين علينا رفض الحداثة، وإنما يجب علينا أن نعيد النظر في هذا المفهوم حيث سعى جاهدا لبيان مناقضات الحداثة، وللهوض بالأمة رأى في أخلاق الدين مسلكا آمنا لتأسيس الحداثة المعنوية الخالصة يضاهي وينظر بها ما لدى الغربيين من تقدم وسبق لتخليص الإنسان من أوهام الحداثة، وتخليص الحداثة من التشيء الذي وقعنا فيه، وتأسيس الجواب الإسلامي في مواجهة هذه الحداثة الغربية.

- تقريب العلوم المنقولة إلى المجال التداولي الإسلامي، وذلك عن طريق تخرجها على مقتضيات أصولها الثلاثة: اللغة والعقيدة، والمعرفة<sup>(1)</sup>.

- اعتماده للتأليف الاجتهادي، حيث قام بتأثيل مفاهيم، وتوليد لمصطلحات ووضع مبادئ وقواعد وهذا لا يتأتى إلا لدى المجتهدين، فأنشأ نظرة تكاملية للتعامل مع التراث، ويعتبر هذا المنهج العميق مواجهة لصحاب المشاريع الداعية لإعادة قراءة التراث سياسيا، دينيا، اجتماعيا، ولكن في ضوء مناهج غربية حديثة، ثم بناء رؤية جديدة للتفاعل مع التراث والتواصل معه دون الانفصال عنه، وبكيفية تكاملية لا تجزئية، فدعوى طه عبد الرحمن كانت اعترافية لكل منقول ودعوته لتحقيق الإبداع في قراءة القرآن، لأنه سر وجود الأمة الإسلامية وسر صنعها للتاريخ.

(1) - طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، مصدر سابق، ص: 422-423.

وفي الأخير يمكن القول أن الطهائي فيلسوف مجدد ورائد قام بتأسيس لمرحلة جديدة من تاريخ الفكر الإنساني، ويعتبر مشروعه جريئاً إلى أبعد الحدود، إذ يكاد يكون حرباً على الفلسفة، التي كانت كبلت بتقاليدها، ومحاولاته لإنشاء فلسفة إسلامية تقوم على التخلق لا على التعقل كما ساد الاعتقاد فيها، ففي رأيه أن ما يميز الكائن البشري عن غيره هو المقوم الأخلاقي، وما الأخلاق إلا الدين، إلا أن هذا المشروع لم يلقي ما يستحقه من تقدير واحتفاء، فقد اتسمت ملامحه بالاجتهاد والافتقار، فالطهائي قيمة فكرية، ومفخرة علمية على مستوى العالم الإسلامي لأنه دليل على الاجتهاد والنبوغ والنخوة العربية الإسلامية المتأصلة فيه زادت من الفخر والاعتزاز بوجوده.